ماكويري يسعى إلى جعل الفلم أكثر إكتظاظاً بالحركة

هل يقدّم توم كروز جديداً في مهمة مستحيلة بنسخته السادسة ؟

لندن - نيكولاس باربر

يقفز إيثان هانت (توم كروز)، بطل الفيلم الجديد "المهمة المستحيلة – مغامرة السقوط"، من طائرة برفقة عميل المخابرات الأمريكية "سي آي إيه" السيد ووكر (هنري كافيل) ذي الشارب البارز ليسقطا في الهواء آلاف الأقدام.

يحدث ذلك بينما يصيب البرق أحدهما ويقع هرج ومرج في الجو مع أنابيب الأكسجين ومظلات القفز، في مشهد هائل -- فهل يتجه البطلان لاقتحام قلعة من قلاع الشر أو للإفلات من قتلة يلاحقونهما بالطيران الشراعي؟

لا، بل هما على موعد وحفلة ديسكو بوسط باريس!

لا أظن أن القفز بالمظلة هو السبيل الأمثل لوصول جاسوسينا الفائقين لتلك الغاية، غير أن مخرج ومؤلف الفيلم كريستوفر ماكويري قد أدرك أن أخذ مترو الأنفاق سيحرم البطل إيثان من خمس دقائق دون حركات بهلوانية خطرة، وهيهات أن يفعل ذلك!

إنها "المهمة المستحيلة" السادسة في المجموعة، والثانية من إخراج ماكويري، ومهمته هي جعل هذا الفيلم الأكثر اكتظاظا بمشاهد الأكشن بحيث لا يكف عن عرض المشاهد المفعمة بالحركة والإثارة الواحد تلو الآخر على مدار ساعتين ونصف دون توقف، أما إذا كان هناك منطق وراء كل تلك المشاهد الدرامية فلست أدرى ما هو.

على أي حال "المهمة المستحيلة – مغامرة السقوط" يتعلق غالبا بثلاثة قضبان من البلوتونيوم سرقتها عصبة من الإرهابيين اطلق عليهم اسم "الرسل" (وهم في الواقع نفس الإرهابيين الذين أطلق عليهم اسم "العصابة" في الفيلم السابق، ولكنهم غيروا اسمهم وكذلك أظن موقعهم على الإنترنت).

الفاتنات القاتلات

ولاستعادة البلوتونيوم لابد أن يجد إيثان طريقه إلى إحدى الفاتنات القاتلات الهادئات التي تدعى "الأرملة البيضاء" (فانيسا كيربي، صاحبة دور الأميرة مارغريت بفيلم "ذا كراون"، التاج)، والتي كان حري بالمخرج أن يفسح لها مجالا أكبر على الشاشة، وهي في الواقع ليست ذات صلة بشخصية سكارليت جوهانسون، الأرملة السوداء، في سلسلة أفلام "ذي أفينجرز" (المنتقمون).

وكالعادة يساعد إيثان هانت في مساعيه المتيمان به: العالم المتوتر بينجي (سايمون بيغ) والعالم الأقل توترا لوثر (فينغ ريمز)، بمفارقات فكاهية. لكن رئيسة "سي آي إيه" (أنجيلا باسيت) أصرت أن يصاحب ووكر إيثان في المهمة، وهو ما أزعج مدير إيثان، هانتلي (أليك بولدوين).

وهناك أيضا إلزا (ريبيكا فيرغسون)، معشوقة إيثان القديمة من المخابرات البريطانية، وزوجة إيثان جوليا (ميشال موناغان)، فضلا عن سولومون (شون هاريس) ذاك الشخص السيء من الفيلم السابق – وعموما يحتاج المرء لذاكرة حديدية لمتابعة من يفعل ماذا وإلى أي جانب ينحاز هذا وذاك.

وحينما يجتمعون جميعا للحديث، يقول الأشرار إن الأبطال وقعوا في الفخ، ويرد الأبطال أن الأشرار هم من وقعوا في الفخ، ثم ينزع أحد الأشرار قناعا مطاطيا عن وجهه ليكشف أنه في الحقيقة أحد الأبطال، ومن ثم يرى الجميع أن الوقت حان لتبادل الرصاص.

يبدأ الفيلم كمغامرة لامعة تذكر بالأيام الخوالي للجاسوسية الأوروبية تحيطها هالات الوجل والولع كملحمة هوميروس الأوديسا، ولكن سرعان ما يصرف الفيلم النظر عن أي تتابع محكم للأفكار ليطيل من مشاهد العراك والمطاردات التي لا يكل إيثان فيها من القفز بين برلين وباريس ولندن وكشمير باحثا دون توقف عن مرتفعات يتسلقها وطرق يركضها وشواهق يقفز فوقها.

العضل والعقل

والفيلم إعلاء للعضل على العقل، فبينما ركزت أفلام سابقة من المهمة المستحيلة على ذكاء البطل أكثر من خصومه، فإن هذا الفيلم يعمد بالأساس لإظهار البطل أقوى جسما وعزما.

والخلاصة أنه كلما عضضت على أسنانك أكثر وحملقت باتجاه هدفك حتى كادت عيناك تخرجان من رأسك، فلابد أنك ستحشد من بأس ما يكفي للنيل من أعدائك – هذا بالطبع باعتبارك كائن غير قابل للفناء كإيثان، فرغم عدم كونه رسميا من الفضائيين أو المتحورين، يمكنه السقوط مدفوعا من دراجة نارية بأقصى سرعة دون خوذة ولا يلحق به شيء، ومن ثم يعاود الكرة.

ولأن بطل مهمتنا الأخيرة لا يشق له غبار، فهو أيضا لا يمكن الشعور به، ولو كان الحكم على الفيلم بما بذل فيه من جهد لإخراج مشاهد الحركة الضخمة والمبهرة لحد السخف، لكان نجاحا منقطع النظير (وهكذا رآه نقاد عدة)؛ فتوم كروز لم يأل جهدا في تمثيل حركاته متشبثا بالحبال وقافزا من الأسطح بمهارة جمة، رغم بلوغه السادسة والخمسين، ولابد أنه يرتشف من معين الشباب بين مشهد وآخر – ولكن لو حُكم على الفيلم بمدى ما تحمله المشاهد من إثارة حقيقية، لسقطت "مغامرة السقوط".فمهما دار من مطاردات إعجازية بين مروحيات في الهواء، ولو سُرِق من المركبات أسطول كامل، فلن يتحرك ساكن لمشاهد متمعن ما لم تقترن الحركة بتسلسل منطقي للأفكار، بينما يترنح ماكويري بين سخرية ذاتية وهلع بدمار وشيك للعالم.

لم ينجح الفيلم لعدم وجود شخصية قوية للخصم، ولغياب الحوار الجيد والحبكة المنطقية – ما يعيدنا إلى القفز بالمظلة لحضور حفل الديسكو. والأهم من هذا كله، من سيتأثر بمشاهد، مهما بلغت، لو كان البطل خارقا لا يتأذى كباقي البشر؟إن الشخصيات الأخرى كثيراً ما تخبرنا كم أن إيثان إنسان ذو معدن طيب، وقد ألّف ماكويري له كوابيس تطارده في منامه لعله يقنعنا أن بطله إنسان حقيقي.

ولكن بعد ستة أفلام من تلك السلسلة، من الصعب أن يرق المشاهد لهذا الإنسان "الآلي" الفائق كما رق لجيمس بوند أو جيسون بورن. فهل عراكه مسل؟

ولكنٍ، هل نعبأ بذلك؟ مستحيل

يقول الناقد السينمائي نيكولاس باربر إن الفيلم يمثل إعلاء للعضل على حساب العقل

من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر

ليس دفاعاً عن المفوضية (غير المستقلة) للانتخابات التي فشلت في إدارة عملية انتخابية مقبولة حتى وليست جيدة وما أفرزته هذه العملية من سلبيات وتشكيك واتهامات عديدة تسببت في حملة إعلامية وشعبية كبيرة تتهم المفوضية بالظلوع في عمليات تزوير فاضحة وإخفاقها في إدارة الانتخابات بشهادات منظمات وهيئات وشخصيات مستقلة راقبت الانتخابات لكني أريد الوقوف على الحقائق والأسباب التي أدت الى عمليات التزوير لمؤسفة والتلاعب بأصوات الناخبين والتي تسببت في خسارة مرشحين فائزين وفوز آخرين وغمط حقوق كتل عديدة بسبب هذه العمليات التي وصلت حد شراء مراكز انتخابية كاملة حسب ما أفاد به نائب برلماني في احد البرامج التلفزيونية من وهذه الأسباب عديدة منها ما تتحمله الدولة والحكومة و جهات سياسية فاعلة وأخرى تتحملها المفوضية ، فالمفوضية لا تتحمل وحدها هذا الفشل وهذه الاتهامات الخطيرة بالتزوير والتلاعب بالنتائج بل تتحملها جهات اكبر من المفوضية وأكثر تأثيرا في الساحة السياسية العراقية وفي المقدمة منها مجلس النواب الذي أنتج هذه المفوضية وصوت عليها ومنحها الثقة وهو يعرف أنها جاءت بعملية محاصصة حزبية وطائفية تقاسمت فيها الكتل والأحزاب المتنفذة مناصبها على حساب الكفاءة والاختصاص والمهنية رغم تحذيرات العديد من الكتل والشخصيات المستقلة والمنظمات التي طالبت باختيار عناصر مستقلة من قضاة لهم الخبرة لتولي مناصب المفوضية ولكن مجلس النواب لم يلتفت لهذه المطالب وصادق على مفوضية المحاصصة ، كما تتحمل الرئاسات الثلاث (الوزراء والجمهورية والقضاء) المسؤولية في هذه الكارثة لأنها هي الأخرى صادقت على تعيين هذه المفوضية وهناك سبب آخر مهم وهو عدم اتخاذ هيئة النزاهة البرلمانية والمستقلة والادعاء العام والقضاء الإجراءات القانونية بحق العديد من السياسيين الفاسدين والسراق الذين سرقوا المال العام وأضابيرهم ولوائح اتهامهم محفوظة في الأدراج والانكى من ذلك ان أعداداً من هؤلاء الفاسدين والسارقين لأموال الشعب تم شمولهم بقانون العفو وآخرين تم تسوية قضاياهم بصفقات سياسية مريبة فعادوا أحراراً ليمارسوا فسادهم وتوظيف الأموال التي سرقوها في شراء أصوات الناخبين بل وشراء مراكز اقتراع كاملة بأموال السحت الحرام ، أما أسباب الفشل والاتهامات بالتزوير والتلاعب بأصوات الناخبين التي تتعلق بالمفوضية فهي إنها لم تلتفت لمطالب ونصائح جهات عديدة قبل إجراء الانتخابات ومنها ما اخبر به ممثل الأمين العام للأمم المتحدة المفوضية بضرورة التعاقد مع شركة رصينة ونزيهة لشراء أجهزة الاقتراع وليس شركة فرعية وهو ما حصل كما لم تنفذ المفوضية طلب رئيس الوزراء الذي قدمه بوقت مبكر قبل الانتخابات بالتعاقد مع شركة معروفة لإجراء الفحص على الأجهزة قبل الانتخابات ثم ان المفوضية لم تقم بتدريب عناصرها بشكل كاف سواء في المفوضية أم في المحافظات على الأجهزة وتفرعاتها وعملها كما لم تتمكن المفوضية من انجاز بطاقات الناخب لملايين العراقيين ولا أقول آلاف خصوصا النازحين منهم وسكان المحافظات المتضررة من داعش بل وحتى في عموم محافظات العراق الأخرى مما حرم ملايين العراقيين من التصويت ،أما مراكز الاقتراع في الخارج فكانت كارثة بكل معنى الكلمة من ناحية التزوير والتلاعب العلني بالنتائج وصلت حد بيع مراكز كاملة لكتل وسياسيين فاسدين دون إجراءات رقابية أو أمنية.

إذن المفوضية أخفقت في إدارة العملية الانتخابية التي تعد أسوأ عملية انتخابية جرت حتى الآن كما إنها مشاركة بحسب الأدلة والبراهين التي قدمتها جهات وشخصيات عديدة بعمليات تزوير فظيعة وعمليات تلاعب وبيع أصوات الناخبين وبيع حتى مراكز انتخابية كاملة والذي حصل بسبب تراكمات سياسية ومصالح حزبية وطائفية وشخصية متجذرة وفساد مالي وإداري ومحاصصة مقيتة ولا تتحمله المفوضية وحدها بل السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية والجهات الرقابية وهيئتي النزاهة المستقلة والبرلمانية وديوان الرقابة المالية الذي صادق على عقود شراء الأجهزة الالكترونية غير الرصينة وغير الأمينة والجهات الأمنية الأخرى (فمن كان منكم بلا خطيئة فيرجم المفوضية بحجر) بل ومن كان من كل هذه الجهات بلا خطأ ولاخطيئة ولم يشترك بصفقة ولم يشترك بإنتاج مفوضية محاصصة فليرجم المفوضية بوابل من الحجارة ، لكن المشكلة ما بعد الذي حصل وما بعد الانتخابات واتهامات التزوير والتلاعب بالنتائج كيف سيتم الرد على الطعون والاعتراضات والاتهامات العديدة والكبيرة ؟

وهل سيتم إنصاف المتضررين والمعترضين وكيف ؟ وهل يتم محاسبة المتسببين في التزوير والتلاعب وكيف ؟

وكيف سيتم حل المشاكل المعقدة والإخفاقات الكبيرة ؟

وهل سيتغير أي شئ ؟ والأجوبة بالتأكيد كلا فالنتائج ستبقى كما هي وسترد المفوضية على الطعون ويستمر مسلسل الأخطاء والإخفاقات والصفقات السياسية وليتضرر من يتضرر وليستفيد الفاسد والفاشل والشعب هو الضحية .

سامي الزبيدي

عمان

الحل الأمثل

للناس هموم كثيرة أولها الخدمات، تليها البطالة التي أدت بدورها إلى الفقر المقيت . ان الخيرات المنتشرة في أرجاء الوطن لم ينعم فيها اهله، كأنه كتب عليهم العناء من أجل أحياء الأرض وإعمارها لغيرهم لينعمون بها، لماذا بلاد مابين النهرين يسري الموت في ثرواتها السمكية؟ هل يعقل من شح المياه!

كيف وفيها رافدان ! كما أنه لا يصلح فيها الزرع وذلك لملوحة أرضها العطشى ! هل يعقل أن تكون هناك بطالة عامة في بلد نفطي يصدر ملايين البراميل يومياً لكل برميل ما يفوق الخمسين دولاراً !!

أين تذهب هذه الأموال ولمن ومن هو المستفيد الوحيد من بقاء أبناء الشعب جياع مشردين؟

كبار السن يسحبون في الأسواق العربات باحثين عن لقمة العيش! الشباب يقطعون المسافات ليجدوا عملاً وأي عمل، هو الذي يكون فيه المبيت في عربة أو حديقة عامة. عندما يمر أحدنا في ساحات الشوارع الرئيسية يلاحظ تواجد الأطفال ترى أحدهم يحمل قطعة قماش يمسح زجاج السيارات، وهذا يركض خلف النوافذ ليبيع علبة الكيلنكس، عندما نشاهد تلك المظاهر يسرح بنا الخيال لفيلم مصري قديم نرى فيه الأطفال يمسحون زجاج السيارات والنساء تستجدي المارة، كل هذا أصبح واقعاً في بلاد الخيرات التي طالما أكل من خيراته كل العرب!

ماهو الحل الأمثل في صدارة العراق بين البلدان العربية التي ارتقت في مقدمة الدول المتطورة؟ الحل الوحيد والامثل هو أن تقوم الحكومة بتعيين الشباب كافة كل حسب تخصصه و تحصيله العلمي، ومن خلال هذا سيتم القضاء على البطالة والفقر. وان تبنى المؤسسات الخدمية التي هي على تماس مع الموطن. ويجب توفير الماء الصالح للشرب، وان تكون الصحة والكهرباء من أولويات عملها لأن خدمات هكذا هي أساس الحياة لذا يجب توفيرها للشعب. ولاسيما القضاء على البطالة، الذي بدوره يعني القضاء على الفوضى. لا تصلح الأمور بالقتل والتكتيم الاعلامي وحظر مواقع التواصل الاجتماعي، إنما بتشخيص الخطأ وتفادي وقوعه مرة ثانية. العقل الراجح هو الذي يحتوي الجميع ويقف على حل المشاكل تباعاً، محافظات العراق أغلبها خرجت مطالبة بالعيش الكريم، إذا لم يعالج الوضع بالعقل والمنطق،

سيكون هناك وضع "لا" تحمد عقباه.

مالك رحيم

النجف

تقارير

تنتصب فوق الممر المائي كنيسة قديمة

نهر إيرلندا الشمالية السري المتدفق تحت الأرض

لندن - إليوت ستين

عشرات الآلاف من الناس يمرون كل يوم من وسط أبراج مدينة بلفاست التي تعود إلى العصر الفكتوري، وشوارع واجهتها البحرية المزدحمة وشارع الكاتدرائية المزركش، لكن القليل منهم يدرك أن هناك سراً مخفياً تحت أقدامهم مباشرة.

على عمق 60سنتيمتراً فقط تحت سطح المدينة الحالي، ما زال يتدفق نهر فارسيت الذي منح بلفاست اسمها بصمت عابراً قلب عاصمة أيرلندا الشمالية. في الحقيقة، بلفاست أو "بيال فيرست" (أي الممر الرملي على مدخل فارسيت باللغة الأيرلندية) ليست فقط مدينة بوجودها لهذا النهر ولكن أيضاً لتطورها وازدهارها في وقت مبكر. لكن ولمدة 170عاماً أغلق هذا الممر المائي وعزل عن العالم الخارجي من خلال سلسلة من الأنفاق، وأصبح بالنسبة لمن يسيرون فوقه مباشرة نسياً منسياً.

"إذا استوقفت أي شخص في وسط بلفاست لتسأله، لن تجد لديه أي علم أو معرفة بأن نهراً يجري وسط مركز هاي ستريت (الشارع التجاري) حيث كانت القوارب والسفن تمخره جيئة وذهاباً"، كما يقول ديس أورالي، مؤلف كتاب "تاريخ نهر بلفاست"، وأستاذ التاريخ الأيرلندي القديم لأكثر من 40 عاماً.ويضيف: "لكن فارسيت يحكي قصة بداية كل شيء، وإذا نظرت بإمعان إلى بلفاست هذه الأيام، يمكنك أن ترى كيف شكل ذلك النهر باستمرار معالم المدينة".حسب ما يقول أورالي، أسست بلفاست فوق معبر طبيعي حيث تدفق نهر فارسيت الذي لا يعرف عنه الكثيرون شيئاً إلى نهر لاغان في شمال أيرلندا. فشكل المساحات والبقع الطينية التي ينحسر عنها الماء في حالة الجزر يصلون فيها من أجل عبور آمن للنهر.

اوائل المستوطنين

بدأ المستوطنون البروتستانت من اسكتلندا وإنجلترا في الوصول خلال القرن السابع عشر، وعلى إثر ذلك تطورت ضفاف نهر فارسيت لتصبح المراسي الأولى لمدينة التجار المزدهرة، حيث كانت الأرصفة والمراسي والسفن بدلاً من المتاجر تحد ما يعرف اليوم بشارع هاي ستريت.

وفي أواخر القرن السابع عشر، كان فارسيت أحد أنهار بلفاست المتعددة، إلى جانب بلاكستاف، التي زودت معامل النسيج والمصانع ومعامل التقطير بالطاقة، وهي المصانع والمعامل التي كانت وقود الثورة الصناعية.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، ساعد نهر فارسيت على دفع بلفاست قدماً لتصبح أكبر مصنع للكتان في العالم، حيث عمل حوالي 50 ألف شخص في المعامل المنتشرة على ضفتيه في غرب بلفاست.

يقول روايري أوباويل، مؤلف كتاب "تاريخ مخفي تحت قدميك: قصة بلفاست الأثرية": "في ذلك الوقت، كنت على الأغلب تشم رائحة بلفاست قبل أن تراها".

ويمضي قائلاً: "يمثل فارسيت رمزاً لتحول بلفاست إلى مدينة ومركز صناعي. إنه النهر السري الذي لم تعد تستطيع رؤيته، وذلك لأنه كان مصرفاً مفتوحاً لمياه المجاري".

فالعائلات والمصانع وجدوا أنه مكان ملائم لإلقاء القمامة، ومع بدايات القرن التاسع عشر كانت الروائح المنبعثة كريهة للغاية لدرجة أرغمت القائمون على المدينة على أن يفعلوا شيئاً إزاء هذا الوضع. وبعد 40عاماً وباستخدام مليون قالب طوب، دُفن الجزء الأخير من نهر فارسيت الذي كان يتدفق وسط المدينة تحت الأرض عام 1848؟وظل مختفياً عن العيون منذ ذلك الوقت.

هذه الأيام يجري النهر المخفي عن العيون بموازاة (خطوط السلام) التي فصلت لوقت طويل بين البروتستانت والكاثوليك، رابطاً بين كاسل ستريت وبانك ستريت متجهاً مباشرة إلى أسفل هاي ستريت، مانحاً الطريق عرضها وانحناءها المميزين.

ومن ثم يتدفق إلى اليسار من برج ساعة ألبرت التذكاري ويصب في نهر لاغان عند رصيف ميناء دونيغال.

"لا تعني عدم رؤيتك للنهر أنه ليس موجوداً"، كما يقول أوباويل مشيراً إلى فتحة صغيرة تقع مباشرة تحت الهيكل المنحوت "السمكة الكبيرة" (بيغ فش) الشهير حيث ما زال نهر فارسيت يصب في نهر لاغان.

وقد أخذ أوباويل على عاتقه كعالم آثار حضرية نشر الوعي عن الدور الكبير الذي لعبه هذا النهر الصغير في التاريخ الأيرلندي، وهو ليس وحيداً في هذا الجهد. فقد شهدت السنوات القليلة الماضية عدداً من الجهود الطموحة لإعادة فتح مقاطع من النهر الذي أهمل لزمن طويل وتحويلها إلى طريق خضراء.

وقبل وقت غير بعيد نظم مجلس بلدية بلفاست مشروع فارسيت على طول المدينة وعرضها للاحتفاء بالنهر المخفي. وبينما كنت أتبع أوباويل من رصيف الميناء وصولاً إلى قلب بلفاست، بات واضحاً إلى أي مدى ما زال صدى تأثير النهر المتدفق تحت الأرض يتردد فوق سطح أرض المدينة."هذا هو برج بلفاست المائل"، كما يقول أوباويل مشيراً إلى نصب ساعة ألبرت التذكاري المشيد من الصخر الرملي، والذي يعتبر أحد أبرز معالم المدينة والذي يميل بنسبة 1.25متر. ويضيف: "نحن نسير مباشرة فوق أرض نهر فارسيت الطينية المستصلحة والتي تسبب ميلاً في المباني الكبيرة التي تشيد فوقها".

النهر المخفي

ولدى وصولنا إلى زاوية شارعي فكتوريا وهاي ستريت، حيث كان نهر فارسيت ذات يوم يصب في لاغان، شرح لي أوباويل أنه ذات يوم كان هناك رصيفا تفرغ فيه السفن الكبيرة حمولتها مثل النبيذ والتوابل والتبغ لكي تتمكن القوارب الصغيرة المعروفة باسم (لايترز) نقلها على طول شارع هاي ستريت.

قال أوباويل ونحن نعبر شارع سكيبر حيث عاش قباطنة السفن ذات يوم: "كل هذه المنطقة كانت تعج بالبحارة الذين يستوردون ويصدرون البضائع على ضفتي النهر حيث يوجد الآن أرصفة شارع هاي ستريت. ومع الوقت، ظهرت الحانات والفنادق والمستودعات على امتداد فارسيت لخدمة أولئك البحارة والمسافرين".

وعلى بعد مربع سكني، اكتسب شارع بريدج ستريت اسمه من جسر مشاة صغير كان ذات يوم يعبر نهر فارسيت للوصول إلى منطقة الإنتريز، والتي هي عبارة عن سلسلة من الأزقة الضيقة المتفرعة من هاي ستريت حيث كان يعيش فيها التجار."

هذه الأزقة كانت بمثابة أرصفة للبحارة الذين كانوا يجوبون نهر فارسيت جيئة وذهاباً، ولهذا ما زالت كثير من الحانات القديمة القريبة من هاي ستريت تحمل أسماءً بحرية مثل ميرميد إن، (أي فندق عروس البحر)"، كما تقول جيني جوينر النادلة في مطعم وبار (ذا مورنينغ ستار) أي نجمة الصباح، الذي شيد قبل 208 سنوات.

وتضيف: "لكن النهر اختفى منذ زمن طويل".فحسب فرانكلين مالون، المهندس في وزارة البنية التحتية، على مدى 170عاماً التي أغلق فيها نهر فارسيت أمام الجمهور لم يسمح إلا لاثنين فقط من العامة المغامرة بالهبوط تحت الأرض لرؤيته.

وسأكون أنا الثالث إذا أخذت بعض الاحتياطات وقابلت مالون عند غطاء فتحة دخول عادية لا يؤبه لها (منهل) حيث يلتقي مفترق قلعة بلفاست المزدحمة بشارع هاي ستريت في تمام 17:21.

منطقة خطيرة

قال مالون: "إنها منطقة خطيرة"، وهو يلقي إلي ببدلة وقبعة حماية كالتي يلبسها عمال البناء والحفريات وحذاء برقبة مرتفعة وهو يربط حول كتفي قارورة أكسجين تزن 10 كيلوجرام. وأضاف: "الغازات الخطيرة، رائحة المجاري، والسوائل الحمضية، هناك سبب وراء عدم سماحنا للناس بالنزول إلى أسفل".

وبينما كان تجمهر من المارة يشاهدنا، قام أعضاء في هيئة الأنهار باقتلاع غطاء معدني ثقيل من الأرض وأدخلوا سلماً إلى باطن الأرض. وبعد أن ألقى نظرة سريعة على ساعته، قال لي مالون أنه ينبغي أن نتحرك الآن لكي يتواكب وصولنا مع حالة الجزر في الماء، فوضعت دفتر ملاحظاتي بين أسناني وهبطت ببطء إلى مجال رطب ومظلم.

قال مالون وهو يحرك أشعة مصباحه اليدوي خلال فتحة مظلمة أسفل شارع هاي ستريت: "الرائحة تلاشت منذ زمن، لكن في القرن 18كان هذا المكان بمثابة خزان للصرف الصحي".

عند انخفاض المد، كان فارسيت أقرب إلى مياه ضحلة راكدة منه إلى نهر متدفق مع انتقال الماء البارد النقي عبر الأخاديد متوجهاً إلى نهر لاغان على بعد 500متر.

وبينما كنا نسير ببطء خلال ممر تحت الأرض، كان العالم من فوقنا يلفه صمت مخيف. وشرح لي مالون أن القبو المشيد على طريقة البناء الفكتوري، وهو قبو مدبب بالطوب قد تم تدعيمه بجدارين بنيا بسمك نصف متر تعلوهما أخشاب مثبتة يحمل المدينة الحالية من فوقه."لقد كان بناء هذا القبوعملية معقدة في القرن التاسع عشر، ومازال في حالة مدهشة من الجودة ما عدا جزء واحد"، كما قال مالون مشيرا إلى شرخ كان يسيل منه الماء من ماسورة مكسورة في الأعلى.بعد سيرنا حوالي 200متر تحت الأرض، قفلنا راجعين نحو السلم والضوء في الأعلى. ومسح مالون بقفازه على قوالب الطوب، التي لطختها باللون الأسود قرون من السباق الصناعي، شارحاً لي أن هذا الماء هو من جلب أسلافه إلى بلفاست.

"جاءت عائلتي بأكملها مثلها مثل الكثيرين جداً من أماكن متعددة في أيرلندا للعمل في صناعة الكتان والقطن التي اعتمدت في طاقتها على نهر فارسيت".

كما قال موجهاً مصباحه إلى الأعماق الداكنة للماء، خاتماً بالقول: "لهذا النهر بعض القصص التي تروى، لكن هذه الأيام، نحن الوحيدون الذين كان حظنا جيداً لدرجة أننا تمكنا من رؤيته".

في القرن التاسع عشر، ساعد نهر فارسيت بمد معامل التقطير ومصانع الغزل والنسيج في بلفاست بالطاقة

القليل من الناس يدركون أن نهراً يتدفق أسفل شوارع وسط بلفاست

ذلك ضفة رملية ضيقة في المكان الذي يعرف اليوم بزاوية شارع هاي ستريت وشارع فيكتوريا.

واليوم هذا هو موقع كنيسة سانت جورج التي تشكل معلماً بارزاً، لكن مبنى الكنيسة الحالي ينتصب فوق كنيسة قديمة كان الحجيج الذين ينتظرون قبل 800عام لعبور